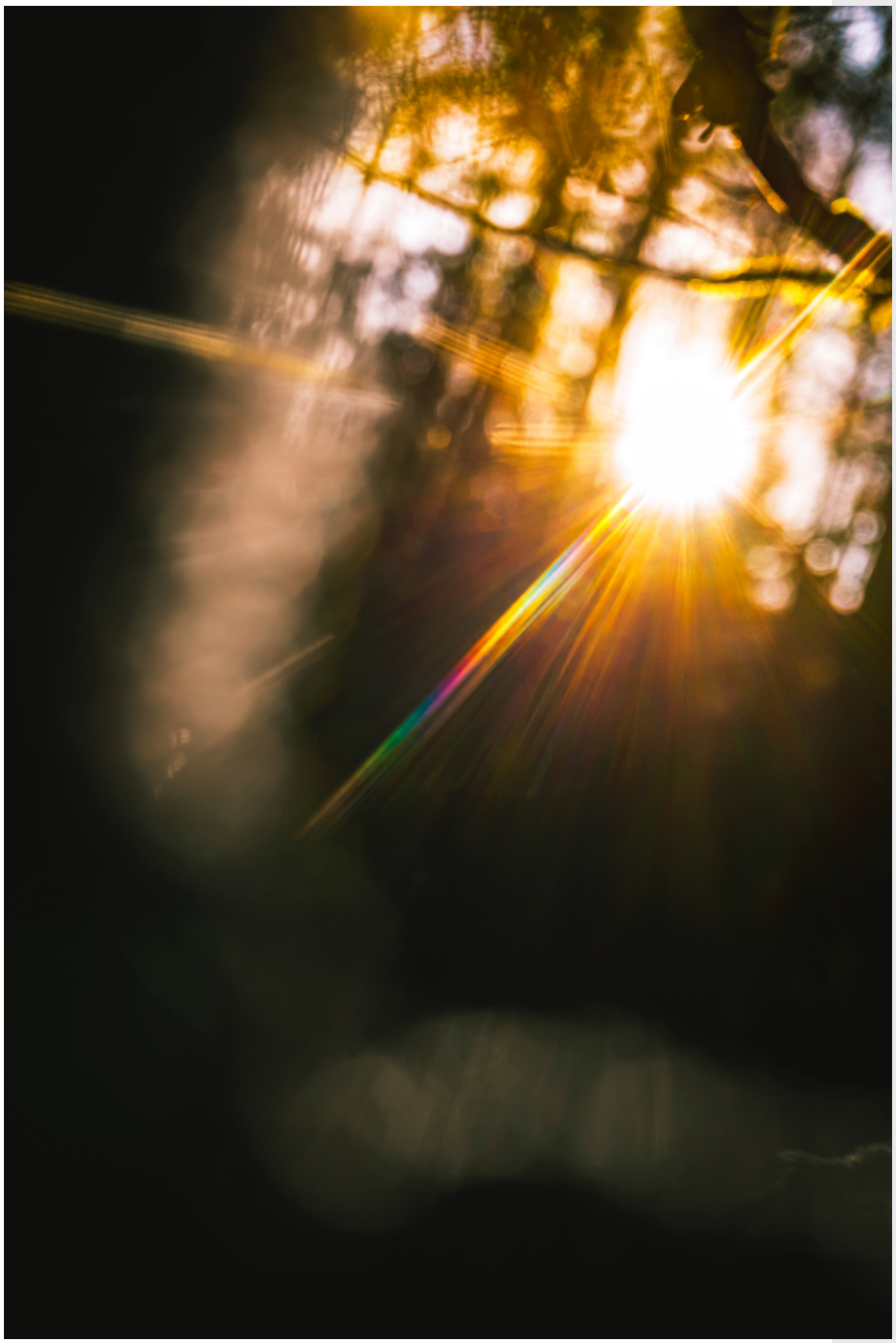

تفريغ محاضرة

من أنوار النبوة ١٢

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/١/١٥ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةُ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلٌ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أما بعد: فحديثنا اليوم بعنوان: (من أنوار النبوة) وهو درسنا الذي نتعاهده دائمًا بين الفينة والأخرى، وهذا الدرس نأخذ فيه مجموعة من أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- مختارات من كتب الأحاديث ومجموعة من الأبواب إلى أن ننهيَ الكتاب، فقد أنهينا سابقًا صحيح الجامع وأنهينا السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني -رحمه الله- وبين يدينا هذا الكتاب أيضًا الذي قد أخذنا جزءًا منه وهو صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، قد يتساءل البعض لماذا نتعاهد هذا النوع من الدروس المتعلقة بأحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام-؟

-أصلان ننهل منهما

أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- لاتقل أهمية عما جاء في القرآن من الكتاب والتفسير، ولذلك لدينا في الإسلام أصلان نرتكز عليهما في الأخذ والاستدلال وهما القرآن والسنة، فهذان الأصلان مهمان لأننا نستنبط منهما جميع أركان الشريعة وأحكامها واستدلالاتها.

وقد يأتي أناس ويقولون نحن لانؤمن بالسنة بل نؤمن بالقرآن فقط لأن الله عز وجل يقول: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". (الحجر:9). فالله تكفل بحفظ القرآن لكننا لانعرف عن الأحاديث متى كتبت؟ وكيف؟ وأين؟ ولذلك يُشكّكُ فيها، هؤلاء لهم من سبقهم من الأمم من المذاهب السابقة، وهم الخوارج أو الحرورية والذين خرجوا على علي -رضي الله عنه- فكفّروا الصحابة، وقالوا نحن نكفر بالصحابة جميعهم أو أغلبهم ونكفر بمجموعة من الأحاديث التي جاؤوا بها، فلو كان هؤلاء الصحابة كفّارًا إذن فكل ماجاؤوا به باطل. فتخيلوا أن أبابكر وعمر وعثمان كلهم كفرة عندهم، وشابههم في ذلك الرافضة الذين لا يأخذون من الأحاديث إلا ماجاء عن آل البيت، وتطور الأمر إلى أن جاء في وقتنا الحالي فرقة يُطلق عليها اسم (القرآنيون) وهذا الاسم مشتق من كونهم لا يأخذون إلا ما وُجد في القرآن فقط ولا يأخذون بالسنة، و هذا تعطيل كبير للشريعة وجحد لما هو معلوم من الدين.

فمن يقرأ القرآن يعلم أن هذا الكلام عارٍ من الصحة، فالله عز وجل يقول: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ(2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ".(النجم:1-3). أي كل ماينطق به رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ماهو إلا وحي يوحى، والله عز وجل كما تكفّل بحفظ القرآن تكفل أيضًا بحفظ سنته، ولذلك قال الله -عز وجل- في آيات كثيرة: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ". (آل عمران:132). ويقول الله -عز وجل: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)". (آل عمران:31-32). فسمّى من تولّى عن الله تعالى أو عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالكافرين، ويقول الله عز وجل : "فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ". (النساء:59). ويقول عز وجل: "من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه". (النساء:69). فربط الله عز وجل بين طاعته وطاعة رسوله -عليه الصلاة والسلام- ويقول سبحانه عن النبي -عليه الصلاة والسلام- : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". (النور:63). وقال في الآية الواضحة التي استدل فيها ابن عباس على حجية السنة: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". (الحشر:7).

وقد تنبأ النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الفرقة منذ زمن فقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- : «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ...» [أخرجه البخاري، صحيح]، ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام - :«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ ...» [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح] . أوتيت الكتاب يعني القرآن ومثله معه وهي السنة وهي التي يأتي التعبير عنها في القرآن بالحكمة، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-:«... أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ...» [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

وفي رواية أخرى قال: " أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللهُ"

[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]

. فتخيلوا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يتحدث عن هذا الزمن، يقول عن رجل شبعان يتكئ على أريكته ويقول إني لا أؤمن إلا بكتاب الله، وإني لا آخذ بحديث النبي -عليه الصلاة والسلام- هؤلاء الناس بعضهم من ينسب نفسه لطائفة المثقفين والمفكرين ، والحقيقة أن من رفض السنة فكأنما رفض القرآن.

-أليس القرآن كافٍ؟

ولذلك قال الله عز وجل : " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ". (النحل: 44). قد يقول البعض هل القرآن يكفي؟ كلا، لا يكفي والسبب أن السنة جاءت إما لتبين المبهم من القرآن وما هو غير واضح فجاءت السنة لذلك، أو يكون في القرآن شيء مجمل فجاءت السنة بتوضيحه وتفصيله، وقد تأتي السنة بأحكام غير موجودة أصلًا في الكتاب، لذلك الدين لا يؤخذ فقط من الكتاب بل يؤخذ من الاثنين معًا من القرآن والسنة، لأن الأمر إن كان كذلك، فمن الممكن أن ينزل القرآن الكريم على أي أحد ويُقضى الأمر، لكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- جاء لتبليغه فكانت سنته القولية التي يتكلم بها أو الفعلية أو ما حدث بوجوده وأقرّه كلها من التشريعات.

فنرى أن الله عز وجل يأمر كثيرًا في القرآن الكريم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لكن هل تجد في القرآن أن صلاة الفجر ركعتين أوتفصيل يُبِينُ عدد الركعات لكل صلاة؟ لذا تأتي السنة بتفصيل هذا المجمل، "أقيموا الصلاة"وكيف نقيمها يارب؟ فعلمنا النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك وعلمنا مواقيت الصلاة وهي غير مذكورة في القرآن، ثم تأتي االزكاة وهي أيضًا أمر مجمل في القرآن، لكن كم يكون النصاب فيها؟ سواء في الأنعام أو في زكاة الذهب والفضة أتت السنة بتعليمها.

وأما مايتعلق في بيان المبهم فتأتي الكثير من الآيات وما نعلم تفسيرها إلا من النبي -عليه الصلاة والسلام- فيقول الله -عز وجل -: " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ". (يونس:26).

قد نفهم نحن الزيادة بأنها لزيادة من النعيم والقصور وشيء من الملذات، لكن بينها النبي -عليه الصلاة والسلام- أنها النظر إلى وجه الله عز وجل، أسال الله أن لايحرمني وإياكم هذا النظر .بالإضافة إلى ما جاء من الأحكام كتحريم الذهب والحرير على الرجال، وتحريم الخالة والعمة من الرضاع وغيرها ما جاءت إلا في السنة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ: «لاَ تَحِلُّ لِي، يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ، هِيَ بِنْتُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ» [أخرجه البخاري، صحيح] .

فالفريق الذي ينكر حجية السنة قد قطع نصف الدين ونبذه، فكأنك لا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعضه، يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله- مفتي المملكة أن السنة حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والاكتفاء بالقرآن فقد ضل ضلالًا بعيدًا وكفر كفرًا أكبر وارتد عن الإسلام بهذا المقال فإنه بهذا المقال قد كذب القرآن، وكذب بماجاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- فهذا الكلام خطير للغاية ومع ذلك قد يُتداول بين مجموعة من الناس بزعمهم أنه جزء من الثقافة أو جزء من الإسلام التنويري، والصواب أن كل الأحاديث الصحيحة التي صحّت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- يجب الأخذ بها سواء كان متواترًا، آحادًا، مشهورًا أو مستفيضًا كلها يجب أن يؤخذ بها، ومن أشهر الأحاديث الغريبة في الإسلام وهو نوع من الأحاديث الصحيحة حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، ...» [أخرجه البخاري، صحيح] . قد لا تجد مسلمًا غير حافظ لهذا الحديث، نقله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن النبي -عليه الصلاة والسلام-نقله عنه فقط ابن عمر وابن عمر نقله عنه فقط سالم، فالمهم أن يكون صحّ سنده عن النبي -عليه الصلاة والسلام- ولذلك نحن نعتني بهذه الأحاديث، لأنه لايمكن أن نأخذ هذا الدين من مصدر واحد وهو القرآن، وإنما علينا أن نأخذ بالقرآن وننظر في تفسيره ونأخذ بالسنة.

-ارجع فأضحكهما

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام - عن عبدالله ابن عمر قال: "رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ"[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن موقوفا وصح مرفوعا]. هذا حديث عظيم جدًا يبين مكانة الوالدين، و نحن نحفظ أحاديث كثيرة في برّ الوالدين منها أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك، ونحفظ آيات كثيرة عن أمر الله -عز وجل- بتوحيده هو وبالإحسان إلى الوالدين، لكن قد يغيب عن الذهن هذا الارتباط بين عدم الإشراك بالله -عز وجل- وبين بر الوالدين، وأن رضا الله من رضا الوالد وسخط الله من سخط الوالد، إذًا كل ماتفعله في حياتك في إرضاء أمك أو أبيك فهذا من رضا الله -عز وجل- وإذا أسخطتهما في يوم ما وغضبوا منك لأي سبب فبهذا تكون مستحقًا لسخط الله -عز وجل- الذي ربط بين رضاه ورضا هذا الوالد.

اسمعوا لهذا الحديث حين جاء رجل إلى ابن عمر فشكا له أنه أصاب حدًا كبيرًا من الكبائر، وقال أنه كان من فرقة تقطع الطريق على الناس وتقتلهم فأراد أن يتوب، فسأل ابن عمر أن هل لي من توبة؟ أي هل لي أن أتوب وأكفر عن كل هذا الذي فعلته؟ فقال له ابن عمر: أتفر من النار وتحب أن تدخل الجنة؟ قال: إي والله، فقال له: أحيّ والداك؟ فقال: عندي أمي، قال: فوالله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

وكأنه يقول لو ما فعلت شيئًا من الأعمال الصالحة الكبرى كقيام الليل والصيام والصدقة لكن ركزت في باب الجنة هذا وهو باب الوالد - والوالد ليس فقط الأب بل والأم أو أحدهما- وألنت لها الكلام أي لم تتكلم معها بحدية، أو بفوقية، كمن يقول أنتم لاتفهمون ونحن من جيل آخر مثقف وأنتم رجعيون ومؤدلجون ومنغلقون، لو لم تتعامل مع أبويك بهذه الطريقة لتدخلن الجنة، من يقول هذا هو عبدالله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي قال عنه النبي -عليه الصلاة والسلام- «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»[أخرجه البخاري، صحيح].

جاء رجل للنبي -عليه الصلاة والسلام- يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان، لاحظوا أنه أتى لعمل عظيم وهو مبايعة النبي -عليه الصلاة والسلام- على الهجرة وترك أبويه وراءه في حزن ويبكيان عليه، لننظر للحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]. أي كما أبكيت أبويك وضيقت صدرَيهما ارجع إليهما فأضحكهما، لاحظوا أنه ماقال له أنت شاب فارس ومقاتل مقدام وستنصر الإسلام، ولم يرجعه عن معصية أو ذنب، بل أرجعه عن فعل عمل من أكبر الحسنات قال الله -عز وجل- : "لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ". (الحديد:10).

أي الناس الذين هاجروا لايستوون مع الناس الذين لم يهاجروا، ومع ذلك قال له النبي -عليه الصلاة والسلام- ارجع إليهم فأضحكهما كما أبكيتهما، ولذلك لما يقول الله -عز وجل-: "فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ". (الإسراء:23). عند التدقيق في كلمة "أف" قد لايسمعانها لكن هذه الزفرة نهى عنها الله سبحانه وتعالى، أي أن هذا التأفف لايجوز في حق الوالدين.

وبر الوالدين ليس بشيء يترك حال التطور، لا يقال مثلًا وصلنا الآن للعام 2021 فلا تبروا آباءكم هذه نصائح قديمة! لا، بل هذا من شرائع الدين ومن شرائع الإسلام.

قد يقول البعض أنا إنسان مؤمن لكن بر الوالدين أرزاق يعطيها الله للبعض ويعجز البعض عنها، هذا كلام مغلوط! هي ليست صدقة أو أمر مستحب بل فرض على الجميع، فبعض الناس يظن أن برّ الوالدين شيء زائد، والصواب أن الزيادة في البر هو الشيء الزائد لكن برهما المجرد والأساس يجب أن يكون موجودًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[أخرجه مسلم، صحيح] .

رغم أنفه يعني أنفه دخل في التراب، وهو كناية عن الذل والخزي. والداك أحوج ما يكونان لك عندما يشتد عودك وتصبح مستقلًا بذاتك وبمالك، وأنت لست بحاجتهما لأنهما صارا إلى ضعف، و ربما لا يقدران على الحركة، هذا الاثنان اللذان كانا في يوم من الأيام يملآن الدنيا عليكم، والأم إذا غضبت يهتز البيت كله ثم تمضي الأيام ولاشيء يدوم ومصيرهما إلى ضعف والأبناء إلى قوة.

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا في الحديث: " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: ...

"[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن]. ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن يعني مباشرة تذهب للسماء، لأنه لايمكن أن يدعو والد على ولده إلا في شيء يحرقه من الداخل. جاء في قصة لابن قدامة في كتابه التوابين : أن الحسن بن علي يقول: بينما كنا نطوف في البيت فإذا برجل يهتف بصوت شجي في الكعبة وقد تعلق بها فيقول: يامن يجيب المدعر في الظلم، ياكاشف الضر والبلوى مع السقم، قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت عينك ياقيوم لم تنم، هبني بجودك فضل العفو عن جرمي يامن إليه أشار الخلق في الحرم، إن كان عفوك لايرجوه ذو سرف فمن يجود عن العاصين بالكرم، فلما سمع علي هذا السؤال أرسل الحسن فقال: آتني بهذا بالرجل، فمن المؤكد أن له حاجة، وكانوا يتلمسون حوائج الناس، ويسارعون في تلمس مواطن الرحمات.

يقول فجئته فقلت أجب ابن عم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فأوجز في صلاته واتبعني، فجاءه فقال من أنت؟ قال رجل، قال من أي الرجال؟ قال من العرب، قال ما اسمك؟ قال منازل بن لاحق،قال ماشأنك؟ قال وماشأن من أسلمته ذنوبه وأوبقته سنة عيوبه، وقال كلام مجمل فقال له علي : آتني بخبرك، أي أعطني قصتك .

قال : كنت شابًا على اللهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيرًا وكان يقول لي: احذر يابني هفوات الشباب فإن لله سطوات ونقمات وماهي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألحّ علي بالموعظة ألححت عليه بالضرب -فتخيلوا أنه كان يضرب أباه-

فلما كان يوم من الأيام ألحّ عليّ بالموعظة فضربته ضربًا موجعًا -ربما يكون سكرانًا أو ماشابهه- فحلف أبي بالله مجتهدا ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق باستار الكعبه ويدعو عليّ يقول فلم أنتبه؛ أي: لم أهتمّ، فخرج أبوه في قافلة حتى انتهى إلى البيت فتعلق أبي بأستار الكعبة وقال: يامن إليه أتى الحجاج قد قطعوا، عرض المهامة من قرب ومن بعد، إني أتيتك يا من لايخيب من يدعوه مبتهلًا بالواحد الصمد، هذا منازل لايرتدّ عن عققي، فخذ بحقي يارحمن من ولدي، وشلّ منه بحول منك جانبه، يامن تقدّس لم يولد ولم يلد. ثم كشف منازل عن جانبه فإذا به قد أصابته دعوة والده وهو مشلول اليد من جانبه الأيمن.

يقول الحسن فكان أبي علي -رضي الله عنهما- دائمًا يقول: احذروا دعاء الوالدين فإنما في دعائهما النماء والانجبار والاستئصال والوبال... إلى آخر القصة. إذن دعاء الوالدين مجاب، ولو تلفت حولك وفتشت في أمور الدنيا ستجد أن كثيرًا من النجاحات وراءها أم تلهج بالدعاء لهذا الابن بالذات، وخلف محق البركة قد تكون أم تدعي بذلك على ابنها أو ابنتها.

-ولد صالح يدعو له

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: وَلَدُكَ اسْتَغْفَرَ لَكَ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن] . يقول محمد ابن سيرين أحد التابعين: كنا عند أبي هريرة -رضي الله عنه- ليلة فقال في كلامه: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمه ولمن استغفر لهما، وصار ذلك من كلامه اللازم والدائم أن يدعو بالمغفرة لنفسه ولأمه ولمن استغفر لهما، فيقول ابن سيرين: فكنا نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة -رضي الله عنه- ونحن كذلك نستغر لهما علّنا ندخل في دعوته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح].حينما نقول: (أو ولد صالح يدعو له) لنركز على كلمة صالح؛ لأنها دليل على زرع وغرس، هذا الحديث الكل يحفظه وقد أنجبنا أولادًا وهذه نعمة، لكن ماذا عن صلاحهم؟

الكثير من الناس يركزون على الاهتمام في أكلهم وشربهم وتحصيلهم الدراسي، ويغيب عنهم أحيانًا من أين سيأخذون الصلاح ومن يعينهم على تنشئتهم عليه، فالبعض يدخلهم التحفيظ حتى يحفظوا القرآن، ونرى نحن الكبار كيف أننا نتعب في الحفظ فنعلم أن من خير ما يقدمه الآباء لأبنائهم أن يربوهم على حفظ القرآن.

إحدى البروفيسورات في الجامعة من بنغلاديش أو الهند تقول أنه في بلادهم لا يمكن أن يدخل الأطفال المدرسة في سن السادسة والسابعة إلا وهم قد ختموا القرآن حفظًا، ومن لم يختم يتأخر في دخول المدرسة، تقول قد يدخل الصف الأول ابتدائي وعمره ١٠ أو 12 سنة بعد أن يتم الحفظ! أي أن مرحلة رياض الأطفال عندهم ليس لتعلم حروف الهجاء، بل لحفظ القرآن كاملًا. فتقول أن كل قريتها تقريبًا حفظة للقرآن. انظروا إلى حجم المعروف الذي قدمه لهم أهاليهم والعلم في الصغر كالنقش في الحجر، وأفضل الحفظ ما حفظناه في الصغر، لكن حفظك وأنت كبير تشعر أنك تحتاج لمراجعته طوال الوقت. وهناك الكثير من النماذج حتى الآن، أختي تسجل بناتها في التحفيظ فتقول وأنا أسجلها في الصف الأول ابتدائي سألوني عن حفظها فقلت وأنا فرحة بها أنها تحفظ أغلب جزء عم في هذا العمر الصغير، فدخلت أخت مصرية أيضًا لتسجيل ابنتها وعندما سألوها قالت أن ابنتها تحفظ جزء عم وسورة البقرة كاملة!

إذًا هناك أناس تجتهد في تربية أبنائها لأن العبرة ليست في إنجاب الأبناء فحسب بل بتنشئتهم ليكونوا من الولد الصالح وهذا ما سيبقى للآباء. فلو صار -لا قدر الله- ولد منحرف وكان الوالدان سببًا في انحرافه؛ لأنهما وضعاه في بيئة منحرفة، فكأنما ألقوه في اليم مكتوفًا ثم يقال له إياك إياك أن تبتل بالماء! فلا تضع ابنك في مكان كله فسق وشهوات وتتوقع منه أن يصبح الصالح المصلح المهتدي.

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَإِنِّي أَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَلِي أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ».[أخرجه مسلم، صحيح]. وكذلك من من برهم بعد موتهم قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[أخرجه مسلم، صحيح].

فتنظر إلى من كان يحبه والدك من أصدقائه أو قرابته فتفعل ما كان يفعله معهم من زيارتهم وغيره، وكذلك تنظر كيف كان يتعامل مع الخدم أو السائقين، فتقوم بنفس عمله وعلى طريقته، هذا كله من أبرّ البر؛ لأن أي شيء تفعله مثل والدك هو استمرارا للأجر الذي كان عليه، وهذا التوجيه ليس لنا نحن فقط لنفعله فنبرّ والدينا، بل أيضًا لنعلم أبناءنا كيف يبرون بنا ونعطيهم خارطة طريق عندما نتوسد التراب فلا تنتهي أجورنا فقط لأننا علمناهم الأمور التي يستكملونها ويستمرون عليها من ورائنا.

عن عروة قال أن أباهريرة -رضي الله عنهما- أبصر رجلين فقال لأحدهما: ماهذا منك؟ -أي ما صلة قرابتكما- قال هذا أبي، فقال له: لاتسمه باسمه، ولاتمشِ أمامه، ولاتجلس قبله. في القصة المشهورة للثلاثة الذين أغلق عليهم الغار المشهور،

تزحزحت الصخرة عنهم بذكر كل منهم عمل صالح، أحدهم ذكر أنه كان يمسك بإناء لأنه تعود أن يعطي أمه وأباه اللبن قبل أن يشرب عياله، فلما جاءهم يومًا تأخر، يقول فجئتُ وقد ناما، فأخذ الإناء ووقف عندهما لأنه من المؤكد أنهما ناما وقد طوى الجوع بطنيهما، وقد يقوما خلال نومهما يريدان أن يشربا شيئًا، فجلس طوال الليل وهو ممسك بالإناء، يقول: وأبنائي يتضاغطون عندي لأنهم يرون اللبن ويريدونه ولم يعطهم منه؛ لأنه لايريد أن يقدم أحدًا على والديه.

قد ننظر نحن لها على أنها مبالغة، وأنه كان من الممكن أن يعطي صغاره منه و أن يضعه بجانب والديه ويذهب ويقول لهم قد أحضرته، لكن الإحساس الحار بالبرّ وأنه لا يريدهما أصلًا أن يتحركا عن فراشهما إلا ويجدانه أمامهما وشعور الأسف أنه تأخر عليهما، فهذا العمل البسيط في نظرنا كان سببًا في فرجه فزحزت الصخرة بهذا المعروف.

هذه المعاملة الملكية في أدق التفاصيل هي ما نسميه البر.

قال تعالى:"وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا". (الإسراء:24).

فالله تعالى لم يقل برهما بهذا المصطلح، بل جاء في القرآن تمثيل أعجز وأعظم لما يقول الله عز وجل :"واخفض لهما جناح الذل" تخيل عندما يكون هناك طائر كبير كالنسر فاتح جناحه، ومع ذلك لما تأتي عند أبويك تخفض لهما جناحك، تنزله كله على الأرض وتخفضه.

وانظروا حولنا لمن يناقش أحد والديه وينظر له أنه متخلف ولايفهم وأن الزمن قد تجاوزه، فتخيل أنك تدخل في نقاش مع ابنك فيستصغرك أو يحتقرك أنت أو قراراتك.

في المقابل الإمام أحمد والشافعي وغيرهما من العلماء في مجالس العلم ويحضر مجالسهم ٥٠٠٠ شخص أو أكثر ومع ذلك إذا نادته أمه قال لها لبيكِ ويقوم من مكانه ويخرج، تقول له يا أحمد خذ الدجاج وتأمره لحظيرة الدجاج، فيذهب فيقوم بما تأمره به ويترك تلاميذه، ومع ذلك ماكانوا يقدمون على آبائهم وأمهاتهم أحد.

-شققتُ لها اسمًا من اسمي

النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا عن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع رسول -عليه الصلاة والسلام- يقول : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ " [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حديث صحيح]. فمن يصل رحمه يصله الله -عز وجل- ومن يقطعها بتته يعني بتاتًا- لكن كيف نصلها؟ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" [أخرجه البخاري، صحيح] وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ، نُسِّئَ فِي أَجَلِهِ، وَثَرَى مَالُهُ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ. [أخرجه البخاري في الأدب، و قال الألباني: حسن]. فمن يبحث عن الرزق والبركة فمن أعظم الأبواب صلة الرحم، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[أخرجه البخاري، صحيح] .

قد يقول البعض أنا أزورهم وهم لا يزوروني وأنا أفعل لهم وهم لا يردون ذلك، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- وضّح هذه الفكرة فقال ليس الواصل بالمكافىء، وهو الذي يصل إذا أتى من يقطعها، ومن الموجع للنفس أن تصل أناسًا قطعوها، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[أخرجه مسلم، صحيح]. تسفهم المل أي كأنك تعطيهم التراب، ولا زال معك من الله ظهير أو ناصر، فالله -عز وجل- لا زال يمدك بظهير من عنده وناصر وعندك مدد من السماء طالما أنك تصل الذين يقطعونك وتعطي الذين حرموك.

ولذلك علاقاتنا الاجتماعية بين أبناء العمومة والإخوة والأخوات لا تكون القضية معهم فقط هم أعطوني أعطِهم، هم فعلوا لي أفعل لهم، هم ابتعدوا فأنا أبتعد، لا ليس هذا الصواب بل رقق رحمك ولو كان بالسلام، وعليك بالأقرب فالأقرب،ثم الأولى فالأولى. و كلما بعدت الدائرة كلما كنا غير ملزمين فيهم لكن يبقى الود والسلام، ويخاف الإنسان أن يقطع بسبب مشكلة ويتوارث هذا الأم، كأن يتخاصم آل فلان وآل فلان فينقطع هذا الرحم بينهم ويتوارث هذا الحقد الأجيال وهذا قد يكون من أظلم الظلم الذي يورّث.

-خُلِقْنَ رحيمات

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في القصة المعروفة عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»[أخرجه مسلم، صحيح]

أتت المرأة عائشة -رضي الله عنها- تسألها وهي جائعة ولا تملك شيئًا، فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل صغيرة لها تمرة وأمسكت لنفسها تمرة، فأكلت البنتين وعندما أرادت أن تأكل تمرتها نظرت صغيرتاها إلى تمرتها، فشقّت التمرة بينهما وما أكلت شيئًا منها، فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام- فأخبرته عائشة -رضي الله عنها- بالذي كان، فقال ومايعجبك من ذلك؟ لقد رحمها الله برحمتها لابنتيها. فتخيلوا أن هذا الحديث جاء في باب اسمه باب الوالدين الوالدات راحمات، فهذه الرحمة التي وضعت في قلب الأم لصغارها أدخلتها الجنة، وهذا جزء من الرحمة التي تدخلهم الجنة، فلا تظن الأم أن أي شيء تفعله من باب الرحمة في أبنائها أنه غير مردود، فمثل هذا الحديث نعرفه كلنا، لكن هل انتبهنا للسطر الأخير؟ أن الله رحمها برحمتها صغارها. نحن دائمًا نكثر من دعاء "اللهم ارحمنا"، وهذه المرأة بحركة بسيطة فعلتها لأبنائها أدركت رحمة الله -عز وجل- التي ندعو بها دائمًا.

برّك في أبنائك ورحمتك بهم هذا من الرحمة التي يكتبها الله -عز وجل- للأمهات، ومن أرحم الرحمات فيهم أن ترحمهم في الدنيا وترحمهم في الآخرة، فليست الرحمة فقط أن تخاف عليهم من الجوع والبرد، لكن الرحمة أيضًا أن ترحمهم من حر النار يوم القيامة، فلذلك عندما تجتهد الأمهات على أبنائهم و يوقظونهم لصلاة الفجر، وتذهب وتعود مرات عديدة حتى يستيقظ، وفي كل جمعة تقف على بابه حتى يخرج للصلاة، قد نقول لماذا هذا كله؟ رغم أنه قد يكون بالغ وعاقل وهو المسؤول عن نفسه، لكنها الرحمة التي في قلبها وهي ليست رحمة دنيوية بل رحمة أخروية، لأنها تعرف أن الرجل إذا ترك الجمعة والجمعة والجمعة كتب من المنافقين، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح].

والصلاة هي الشيء الذي بيننا وبينه فمن تركها فقد كفر، والطفل إذا لم يتعود على الصلاة الآن من سيعوده إذا كبر؟ فباب الوالدات رحيمات ليس بالأمر الهين، وبعض الأمهات قد يتهاونَّ في ذلك وتقول: ليس لي شأنٌ به وهو مسؤول عن نفسه، لكن هذا من أبواب الجنة التي تفتح للأمهات.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- أيضًا في الحديث باب لا يرحم الله من لا يرحم الناس، واسمعي لهذا الحديث عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ» [أخرجه البخاري، صحيح]. وليست الرحمة فقط لمن هم أكبر وأعلى منك منزلة، بل حتى بمن هم أقل منزلة أو من يعمل عندك، فإن استطعت أن تعاونه وترحمه وتخفف عنه العبء فهذه من الرحمات التي يكتبها الله -عز وجل- عنده، و تذكر هذه العبارة في كل أمر "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" ومن أراد أن يرحمه الله فليتمثل بهذه الصفة في الدنيا.

-حتى ظننت أنه سيورثه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُسَاوِرِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وجارُه جَائِعٌ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح] . قد يقول البعض: وماشأني؟ جاري في بيته وما أدراني أنه جائع؟! فلم يخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن أنك إذا عرفت أو لم تعرف لكن جارك إذا بات ليلته جائع فهذا الإنسان يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- عنه ليس بمؤمن، والمعنى هنا أنه يوجد خلل في منظومة الجيرة، وأن هؤلاء الجيران لايعرفون عن بعضهم البعض إلى درجة أن الجار قد يمر به اليوم والثلاثة وثلاجتهم فارغة، ويستحي أن يطلب من جاره شيئًا كما كنا نفعل سابقًا، فوضعوا للجيرة حدود ولم تصبح كما أمر به النبي -عليه الصلاة والسلام-.

قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث حينما سألته عائشة -رضي الله عنها- عن الهدية لمن تعطى، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا»[أخرجه البخاري، صحيح]. فكلما كان منك أقرب كل ما كان حقه أكبر، ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث يقول ابن عمر قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زمانٌ - أَوْ قَالَ: حِينٌ- وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن لغيره].

يعني كأنه يقول كنا نرى إذا كان في جيبك خمسمائة ريال أو ألف فلا أحد أحق بها من أخيك المسلم، لنفهم ذلك مثلًا لو كان عند أبي بكر -رضي الله عنه- مال، فهو يشعر أن أحق الناس بهذا المال هو عمر -رضي الله عنه- وهذه حقيقة الصحبة والأخوة فيقول عَنِ ابْنِ عُمَرَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زمانٌ - أَوْ قَالَ: حِينٌ- وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كَمْ مِنْ جَارٍ متعلقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ، يَا رَبِّ! هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ! "[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن لغيره] .

وهذا الحديث مفزع أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يا ربي هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه، بعض الناس منطوون على أنفسهم يغلقون أبوابهم دائمًا، ومنعزلون اجتماعيًا عن كل هذا الحي، لو كان الحي حي سوء وفيه الشر لقلنا: لابأس، لكن لو كان هذا الحي لمسلمين وأناس بينهم علاقات طيبة فهنا يجب أن تكون بارًا في جارك، كان الصحابة -رضي الله عنهم- يقولون ما زال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوصينا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[أخرجه البخاري، صحيح].

ظنوا أنه سيكون من ضمن المواريث لأن هذه حقيقة المجتمع المسلم، وأن هؤلاء الجيرة يجب أن يكون لهم من العطاء، وأن نكون دائمًا نحن المبتدئين وأصحاب الخير والمعروف، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]. فخير الجيران عند الله خيرهم لجاره، أن ترسل لهم من طعامك،و تسأل عنهم ولا تؤذيهم بإزعاج وغيره، اليوم بلغ مفهوم (الأنا) عند بعض الناس درجة عظيمة، أن كل واحد منا يخاف أن يلمس ما يخص جاره وكأننا في مجتمع الغرب ونتعذر بأنه قد لايعجبه وربما يشعر بالضيق مما قد أفعله.وماذكرناه هو خيرة ونفع دنيوي فخيركم خيركم لجاره.

وأيضًا أشملهم في الدعاء والنفع الأخروي، فمثلًا في رمضان ماذا من الممكن أن تقدم لهم، قد تجمع المرأة جاراتها وتحضر معلمة قرآن ويحفظون مع بعضهم البعض، يقول الله عز وجل: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ". (الأنعام:122). فالله -عز وجل- يشبّه هذا الإنسان الذي يملك الإيمان في داخله بأنه مثل النور يمشي به في الناس، فإذا كان عندك شيء من النور كيف ستقدمه للناس؟ فمثلًا عندما تطهو طعامًا وتقدمه لجارك فهذا من أعظم الأمور كإعطاء الجار من المرقة وقد ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام- أن تأخذ من مرقتك ولو فِرْسِنَ شاةٍ أي ولو كان شيئًا قليلًا وتقدّمه لجارك، فكيف لو كان هذا النفع أخروي ومتعدٍ، فعندما تصلح أخيك المسلم فأنت تصلحه وتصلح أسرته و زوجه، فمثلًا جيرانك، كن أنت السبب في أن تصدح بيوتهم بالقرآن بدل الموسيقى، فنحن دائمًا نقول المؤمن لا بد أن يكون علامة فارقة في أي مكان يكون فيه، فلا تكن كأي جار أو كأي أحد يأتي ويذهب بل اجعلهم يذكرونك بالخير، فلا بد أن يكون لك دور مع جيرانك ومع أهل الحي ومع مجتمعك، ولذلك لو كل واحد منا كفى المجتمع والدائرة القريبة منه وكان شعلة من نور لكنا بخير، ولاحظوا كم من الأجور الكبرى لمن يفتح بابه وبيته للناس ليجتمعوا من حوله مثلًا على حفظ القرآن، فبعض كبار السن لو لم يجلس على القرآن قد يجلس أمام الشاشات والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

ولننظر كيف يتغير الزمن عَنْ أَبِي مُوسَى: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن]. فلا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره لأنه لم يعد للجار شأن. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وتفعلُ، وتصدقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ من أهل النار" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح].

وأيضًا أشملهم في الدعاء والنفع الأخروي، فمثلًا في رمضان ماذا من الممكن أن تقدم لهم، قد تجمع المرأة جاراتها وتحضر معلمة قرآن ويحفظون مع بعضهم البعض، يقول الله عز وجل: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ". (الأنعام:122). فالله -عز وجل- يشبّه هذا الإنسان الذي يملك الإيمان في داخله بأنه مثل النور يمشي به في الناس، فإذا كان عندك شيء من النور كيف ستقدمه للناس؟ فمثلًا عندما تطهو طعامًا وتقدمه لجارك فهذا من أعظم الأمور كإعطاء الجار من المرقة وقد ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام- أن تأخذ من مرقتك ولو فِرْسِنَ شاةٍ أي ولو كان شيئًا قليلًا وتقدّمه لجارك، فكيف لو كان هذا النفع أخروي ومتعدٍ، فعندما تصلح أخيك المسلم فأنت تصلحه وتصلح أسرته و زوجه، فمثلًا جيرانك، كن أنت السبب في أن تصدح بيوتهم بالقرآن بدل الموسيقى، فنحن دائمًا نقول المؤمن لا بد أن يكون علامة فارقة في أي مكان يكون فيه، فلا تكن كأي جار أو كأي أحد يأتي ويذهب بل اجعلهم يذكرونك بالخير، فلا بد أن يكون لك دور مع جيرانك ومع أهل الحي ومع مجتمعك، ولذلك لو كل واحد منا كفى المجتمع والدائرة القريبة منه وكان شعلة من نور لكنا بخير، ولاحظوا كم من الأجور الكبرى لمن يفتح بابه وبيته للناس ليجتمعوا من حوله مثلًا على حفظ القرآن، فبعض كبار السن لو لم يجلس على القرآن قد يجلس أمام الشاشات والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

ولننظر كيف يتغير الزمن عَنْ أَبِي مُوسَى: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن]. فلا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره لأنه لم يعد للجار شأن. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وتفعلُ، وتصدقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ من أهل النار" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح].

فتخيلوا أنها تتصدق وتصلي وتصوم لكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- لا خير فيها لأنه لو كانت الصلاة صحيحة لنهتها عن الفحشاء، ولو كان عمل الخير الذي تفعله صحيحًا لنهاها عن ذلك الأذى المتعدي الذي تفعله في الكلام بين الناس بالغيبة والبهتان وإيذاء الجار، فقال لا خير فيها هي في النار، وعن أبي هريرة، أن رجلا قال: "يا رسول الله، إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها، غير أنها تؤذي بلسانها قال: «في النار»، قال: يا رسول الله، إن فلانة ذكر من قلة صلاتها وصيامها، وأنها تصدقت بأثوار أقط، غير أنها لا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة»[أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح]. والإقط لبن مجفف، أي صدقة قليلة جدًا وليست كتلك التي تتصدق بالأموال، فقيل أن فلانة تصلي المكتوبة وتتصدق بأثوار ولا تؤذي أحدًا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هي من أهل الجنة كونها لا تؤذي أحدًا، فعلينا أن نربي أنفسنا ألا نؤذي الغير ولو بكلمة عابرة، وإن حصل نسارع في الإصلاح حتى لا ينبت جرحًا في قلب أحدهم، ولذلك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[أخرجه البخاري، صحيح]. فلا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه، الجيرة أُخوّة في الله لكن البعض لايستطيع أن يأمن جاره ولا يأمن الحديث معه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قال "الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَاجَرَ السُّوءَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عبد لا يأمن جاره بوائقه»[أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح] .

هناك أناس تظن أن هذا من القوة، وأنه يجعل الآخرين يهابونه، والحقيقة أن عدم الشعور بالأمان مع شخص قال عنه النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.

-أنا وكافل اليتيم كهاتين

قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. [أخرجه البخاري، صحيح]. قال بإصبعيه السبابة والوسطى كهاتين بالإشارة المعروفة، هذا الحديث المعروف الذي دائمًا تضعه جمعيات الأيتام ونراه، يظن البعض أن الأجر يكون في اليتيم فقط، وأنك عندما تفعل ذلك تساعده ليعيش في بيئة حاضنة، لكن ما لاتعلمه أن في كفالة اليتيم الخير والرزق والبركة للكافل.

وهناك الكثير من القصص الواقعية حصلت لأناس ما زالوا أحياء حولنا، إحداهن تأخرت في الحمل 15 سنة ثم أرضعت يتيمًا وكفلته، وفي نفس السنة رزقها الله بحمل، وأخرى رزقت بالبنات وكانت تتمنى الولد، فنوت أن تكفل يتيمًا وسعت في الأمر فحملت وهي لم تكمل إجراءاته بعد، وغيرهم من فتح الله عليهم أبواب رزقه وخيره، إحداهن تقول عندما كفلنا يتيمًا وأحضرناه للبيت تغير زوجي وتغير أولادي وبناتي، أصبحنا دائمًا نجتمع على وجبة وكنا في السابق لا نجتمع، و زوجي كانت عنده حياة خاصة بعيدة عنا ويقضي وقته في الاستراحة، لكن منذ أن أتى اليتيم أصبح زوجي موجودًا في البيت طوال الوقت، وتقول أنها كانت خائفة من عدم وجود مشاعر تجاه هذا الطفل الصغير، لأن أصغر طفل لها كان كبيرًا، فتقول هذا اليتيم قلب حياتنا وغيّرها، ولو تسألين زوجي الذي كان يرفض فكرة اليتيم من أحب أبنائك إليك يجيب هذا اليتيم، ولذلك قد يظن البعض أن الخير لهذا اليتيم فقط وأن الأجر للصدقة عليه، لكن الخير له ولك أنت أيها الكافل، ولذلك من يستطيع أن يكفل يتيمًا فليكفل سواء كانت كفالة مادية أو كفالة حقيقية، كمن تستطيع إرضاعه أو تجعل أحد من أقاربك يفعل ذلك ليكون محرمًا للمرأة.

لماذا كل هذا الأجر للكافل؟ ولماذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- أنا وكافل اليتيم كهاتين؟ لأنك ستربي ولدًا ليس من صلبك وتحسن إليه، وإذا حدث منه أمرًا قد يغضبك أو كانت شخصيته ليست كما تريد، لا تتبرأ منه وتقول أنا لا أعرف أصله وفصله، بل عليك أن تقاوم هذه النزعة فيك من الداخل، فمن أحسن في تربيتهم كان هو والنبي -عليه الصلاة والسلام- كهاتين وهذا كناية عن القرب والملامسة.

-لقد احتظرتِ بحظارٍ شديد

قال النبي عليه الصلاة والسلام وهذه لمن يموت له ولد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [أخرجه البخاري، صحيح]. فلو مات لأحدهم ثلاثًا من الولد واحتسبهم عند الله لا تمسّه النار إلا تحلّة القسم، وهذا فقط الورود لكن لاتمسّه النار يعني لاتحرقه.

جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ادْعُ اللهَ لَهُ، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، قَالَ: «دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ»[أخرجه مسلم، صحيح]. أتته فقالت ادع الله أن يبقي لي هذا الولد فقد دفنت ثلاثة غيره، فقال لها النبي -عليه الصلاة والسلام- احتظرت بحظار شديد من النار أي صار بين النار وبينك حاجز شديد كبير من هؤلاء الثلاثة الذين دفنوا. وفي الرواية الأخرى: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[أخرجه البخاري، صحيح].

ثلاثة أولادًا كانوا أو بناتًا بفضل رحمته إياهم.

لماذا كل هذا الأجر للكافل؟ ولماذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- أنا وكافل اليتيم كهاتين؟ لأنك ستربي ولدًا ليس من صلبك وتحسن إليه، وإذا حدث منه أمرًا قد يغضبك أو كانت شخصيته ليست كما تريد، لا تتبرأ منه وتقول أنا لا أعرف أصله وفصله، بل عليك أن تقاوم هذه النزعة فيك من الداخل، فمن أحسن في تربيتهم كان هو والنبي -عليه الصلاة والسلام- كهاتين وهذا كناية عن القرب والملامسة.

-لقد احتظرتِ بحظارٍ شديد

قال النبي عليه الصلاة والسلام وهذه لمن يموت له ولد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [أخرجه البخاري، صحيح]. فلو مات لأحدهم ثلاثًا من الولد واحتسبهم عند الله لا تمسّه النار إلا تحلّة القسم، وهذا فقط الورود لكن لاتمسّه النار يعني لاتحرقه.

جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ادْعُ اللهَ لَهُ، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، قَالَ: «دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ»[أخرجه مسلم، صحيح]. أتته فقالت ادع الله أن يبقي لي هذا الولد فقد دفنت ثلاثة غيره، فقال لها النبي -عليه الصلاة والسلام- احتظرت بحظار شديد من النار أي صار بين النار وبينك حاجز شديد كبير من هؤلاء الثلاثة الذين دفنوا. وفي الرواية الأخرى: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[أخرجه البخاري، صحيح].

ثلاثة أولادًا كانوا أو بناتًا بفضل رحمته إياهم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ، إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَوِ اثْنَيْنِ»[أخرجه مسلم، صحيح]. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا، ... »[أخرجه مسلم، صحيح]. الرقوب أي كما نقول العاقر أو الذي لا ينجب، فقالوا الرقوب فينا الذي لا يولد له، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- لا ولكن الرقوب الذي لم يقدّم من ولده شيئًا. أي أن الرقوب حقيقة في ميزان الشرع من له ولد ولم يقدم منهم شيئًا أي ما مات منهم في حياته أحد، والإنسان دائمًا يتمنى السلامة ولا يتمنى أن يبتليه الله هذا النوع من البلاء لأنك لاتعرف نفسك هل ستجزع وتسخط أم ستصبر وتحتسب.

-كل معروف صدقة

قال النبي عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ»[أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني: صحيح]. هذا الحديث فيه بشارة ونذارة فأهل المعروف والخير في الدنيا هم المعروفين بالخير في الآخرة ويؤتى الناس أنوارهم في الآخرة على قدر أنوارهم في الدنيا، فكما تكون هنا ستكون هناك والجزاء من جنس العمل، فكّر بنفسك ما أكثر ما تعرف به في الدنيا من الخير والصلاح؟ برّك بوالديك أم محبة الفقراء والمحتاجين والتفريج عن كرباتهم، ما الشيء الملتصق باسمك؟ البعض يسمونهم بفلان طرب أو فلان كذا وارتبط المنكر بأسمائهم! وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» [أخرجه البخاري، صحيح]. ماهي أبواب المعروف؟ قال النبي -عليه الصلاة والسلام- كل المعروف صدقة، أي شيء تستطيع أن تفعله من الخير هو من المعروف وهو صدقة.

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[أخرجه البخاري، صحيح]. قد يقول البعض ليس عندي مال أتصدق به، فقال فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، فمن لم يستطع ولم يجد فليعن ذا الحاجة الملهوف ومن عنده كرب، لكن ربما لا يعرف أحدًا به كرب، فقيل فليأمر بالخير أو يأمر بالمعروف مثلًا عندك آية تستطيع أن تبلغها أو أي عمل صالح أنت قادر على فعله فافعل، ولنفرض أنه إنسان غير قادر على ذلك عنده مثلًا رهاب اجتماعي، قال فليمسك عن الشر فإنها له صدقة منه على نفسه، من منا لا يقدر على أن يمسك نفسه عن الشر؟ من يستطيع ألا يقلّب نظره في حرام؟ من يستطيع أن يمسك نفسه عن أنواع الشر الموجود في وسائل التواصل الاجتماعي؟ فتخيلوا أن كفّ الشر عن نفسك هذا من أقل أنواع المعروف التي تستطيع أن تقدّمها.

ومن أبواب المعروف ما كان عن النبي -عليه الصلاة والسلام- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بالشَّيء يَقُولُ: "اذْهَبُوا بِه إِلَى فُلانَةٍ فَإِنَّها كَانَت صَدِيقةُ خَدِيْجةَ. اذْهَبُوا بِه إِلى فُلانَةٍ فَإِنَّها كانت تُحِبُّ خَدِيّجةَ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح].

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتعاهد من صديقات خديجة -رضي الله عنها- لأن أهل الإيمان هم أهل الودّ وهم الذين يحافظون على هذا الودّ حتى بعد فناء الأرواح، غاب الجسد وغابت خديجة -رضي الله عنها- والنبي -عليه الصلاة والسلام- عنده من الزوجات الأخريات ومع ذلك لا زال يحتضن الودّ لزوجته الأولى وهذا من المعروف، ولذلك نحن نسمع عن أناس كثر قاموا بعمل أوقاف لوالديهم أو أبنائهم أو غيرهم لكن كم من الناس أعدّ لزوجته وقْفًا أو أعدّت لزوجها؟ أو تعاهد أحدهما بالصدقة عن الآخر بعد موته، قد يكون هذا الأمر من النادر أن نسمعه لكنه من أبر البرّ، ومن الودّ الذي يميز أهل الإيمان في علاقاتهم أنهم يحفظونها إلى الآخرة .

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[أخرجه البخاري، صحيح]. قد يقول البعض ليس عندي مال أتصدق به، فقال فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، فمن لم يستطع ولم يجد فليعن ذا الحاجة الملهوف ومن عنده كرب، لكن ربما لا يعرف أحدًا به كرب، فقيل فليأمر بالخير أو يأمر بالمعروف مثلًا عندك آية تستطيع أن تبلغها أو أي عمل صالح أنت قادر على فعله فافعل، ولنفرض أنه إنسان غير قادر على ذلك عنده مثلًا رهاب اجتماعي، قال فليمسك عن الشر فإنها له صدقة منه على نفسه، من منا لا يقدر على أن يمسك نفسه عن الشر؟ من يستطيع ألا يقلّب نظره في حرام؟ من يستطيع أن يمسك نفسه عن أنواع الشر الموجود في وسائل التواصل الاجتماعي؟ فتخيلوا أن كفّ الشر عن نفسك هذا من أقل أنواع المعروف التي تستطيع أن تقدّمها.

ومن أبواب المعروف ما كان عن النبي -عليه الصلاة والسلام- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بالشَّيء يَقُولُ: "اذْهَبُوا بِه إِلَى فُلانَةٍ فَإِنَّها كَانَت صَدِيقةُ خَدِيْجةَ. اذْهَبُوا بِه إِلى فُلانَةٍ فَإِنَّها كانت تُحِبُّ خَدِيّجةَ" [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح].

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتعاهد من صديقات خديجة -رضي الله عنها- لأن أهل الإيمان هم أهل الودّ وهم الذين يحافظون على هذا الودّ حتى بعد فناء الأرواح، غاب الجسد وغابت خديجة -رضي الله عنها- والنبي -عليه الصلاة والسلام- عنده من الزوجات الأخريات ومع ذلك لا زال يحتضن الودّ لزوجته الأولى وهذا من المعروف، ولذلك نحن نسمع عن أناس كثر قاموا بعمل أوقاف لوالديهم أو أبنائهم أو غيرهم لكن كم من الناس أعدّ لزوجته وقْفًا أو أعدّت لزوجها؟ أو تعاهد أحدهما بالصدقة عن الآخر بعد موته، قد يكون هذا الأمر من النادر أن نسمعه لكنه من أبر البرّ، ومن الودّ الذي يميز أهل الإيمان في علاقاتهم أنهم يحفظونها إلى الآخرة .

نختم درسنا بهذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (المُؤمن مرآةُ أخِيه، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو المؤمنِ، يَكفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَه ويحُوطُه مِن وَرَائِهِ) [أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: حسن]. وهذه حقيقة العلاقة بين الإخوة في الله، فليست العلاقة فقط مجرد أن نلتقي ونطبطب على بعضنا البعض، بل إذا رأى فيه عيبًا أصلحه لأنها وظيفة علاقتنا، فنحن ما اجتمعنا إلا لله وحتى نقترب إلى الله -عز وجل- أكثر، فلا نزيّن الشرّ لبعضنا، بل نبيّن الخطأ لبعضنا البعض وما لايرضي الله -عز وجل- ولا أخاف أن تنقطع علاقتنا لهذا السبب لأنه ما الفائدة من العلاقة إذا كنا نرى المنكر أو الحرام ثم لا نستطيع أن ننكر على بعضنا ذلك، فلا بد من الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فيكون الإنسان هو مرآة أخيه المؤمن، كما لو أنك تمسك بمرآة وتنظر فيها لنفسك والعيوب التي فيك، فتخيل أن تمتلك أخًا كذلك، يخبرك بعيوبك وخطئك، فمثلًا يرسل لك رسالة أن ما قلته اليوم كان جميلًا وحسنًا، أو كان خطأ فانتبه لذلك، فإصلاح العيب هو حقيقة علاقة الأخوة في الله، وكان السلف يقولون رحم الله امرئ أهدى إلي عيوبي، فكثير من الناس تمدح لأن هذا أسلم شيء، لكن من يهديك عيوبك بنية صادقة؟ وليس شخصًا يريد أن ينتقد لمجرد الانتقاد أو الاستصغار والتصيد لأخطائك، أو ليحقرك أو يضعك في حجمك الحقيقي لا، بل هو يريد الإصلاح، فيقول لك كل شيء فيك حسن لكن كذا وكذا هذه عيوب حاول أن تصلحها لأني أغار عليك أن يكون لازال فيك هذا العيب، قد نسمع البعض أحيانًا يتحدثون عن فلان أنه شخص جيد لكن ياليت تلك الصفة لم تكن فيه، لكن كيف سيصلح من نفسه ولم ينصحه أحد أو يخبره بعيبه؟ ولذلك المؤمن مرآة أخيه وهذه من وظائف المسلم مع المسلم ومن حقوقه السبعة أن ينصحه إذا استنصح. هذه كانت طائفة من أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- أسأل الله أن ينفعني وإياكم بها وأن يجعلنا ممن يحشرون في زمرة النبي -عليه الصلاة والسلام- وأن يسقينا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.